فيما يلي تلخيص لبعض الفقرات المهمة في السلسلة..

الملف الأول

الدقيقة ١

الذي يدرس الآن في كتب علم أصول الفقه هو المصطلحات. لأن لكل علم من العلوم مصطلحات خاصة به، لا بد لمن أراد أن يدرس هذا العلم أن يتعلم الألفاظ الخاصة به، والمصطلح هو لفظ يخرج من إطار اللفظ العام المتداول بين أيدي الناس ليكون خاصًا بفئة من الناس يتعاملون به تعاملًا خاصًا يختلف عن تعامل العوام به..

٣

ولكن بعد ذلك، لا بد أن يخوض في العلم، بأن يعرف قواعده، يعرف كيفية استخراج هذه المصطلحات من العلوم التي بين أيديهم، بمعنى أن تمارس هذه المصطلحات على المادة التي بين يديك لهذا العلم.....، مثلًا، علم الحديث، ما هي مادته؟ الحديث النبوي.

٥

فالمصطلحات أيها الإخوة، والتي صارت هي علوم يقف عندها عامة الطلبة في علم الحديث، في علم مصطلح الحديث، أو علم أصول الفقه، وظنوا بعد ذلك، أنه بمجرد أن يحفظ الرجل، ويدرك مصطلحات هذا الفن، أن يدخل في هذا العلم ويشتغل فيه، قبل أن يجري عملية التطبيق. إذن معالجة المادة هي شيء غير المصطلح، هذه تحتاج إلى قواعد العلم، وليس مصطلحات العلوم، إذن هناك فرق..

٧

علم الحديث مع علم أصول الفقه هما علما الحياة. أصول الفقه ليس باعتبار مصطلحاته التي تدرس الآن في الكتب المؤلفة في أصول الفقه تجدها تعرفك ما هو أصول الفقه، وفي أي شيء يبحث، ولكن ما هي القواعد الأصولية للتعامل مع الأحاديث والآيات والقياس، والتي تسمى بالأدلة الإجمالية، والتي هي مادة أصول الفقه..

٩

فلا بد بعد ذلك من إجراء تجارب مع هذه القواعد على مواد إجمالية سواء كانت أحاديث نبوية أو آيات قرآنية.. ليصبح بعد ذلك لدى طالب العلم: ملكة أصولية.

١١

نشأ هذا العلم أساسًا – بمعنى أن العلماء اضطروا إلى كتابته وتحقيقه وتحريره وتحرير مسائله – عندما بدأت تنشأ داخل المجتمع الإسلامي **"فوضى" ففهية**، كيف؟ تعلمون أنه بسبب عوامل عدة، أولها تفرق الصحابة في الأمصار، ووجود حالات مكانية؛ مكان له أوضاع خاصة تضطر إلى التشدد في بعض المسائل، وحالات أخرى لعدم التشدد.. وتكاثرت الفتوى وبدأ فيها الاضطراب والاختلاف في داخل المجتمع الإسلامي..

١٤

الحنفية : الملكة الأصولية التي كانت لدى أئمة الأحناف أنتجت مجموعة من الأحكام أخذها التلاميذ وخرجوا الفروع بعد استقراء هذه المادة. وهذا كلام صحيح لو طبقناها على أقوال الصحابة، ولكن تطبيقها على من بعدهم ليس كذلك، لأن العالم قد يخطئ ، فنجعل خطئه قاعدة.

١٥

إذن، أصول الفقه نتجت لضبط هذه الاختلافات، لنقل: من أجل حل الخصومات بين الفقهاء. فلفظة فوضى غير محترمة هنا.. الكل يستدل بالنصوص، ولا يمكنهم الرد على بعضهم، كيف يخطئ أحدهم الآخر؟ هذا يستدل بعموم والآخر بخصوص. فصارت تنشأ من خلال الخصومة بين الفقهاء، صارت تنشأ عبارات قاسية بينهم. فأصبح الذين يأخذون بخصوص الآيات والأحاديث، يتهمون من يأخذون بالعمومات أو يقيسون عليها أو يفرعون، يتهمونهم بعدم احترام الحديث. فلا يقول له: أنت أخطأت في كذا وكذا، ولكن نشأ لديه حكم. وأنت تعلمون أن هذا هو ما يستقر عند العوام...

١٨

فنشأت الشعارات، وهي تنشأ عادة عند عدم القدرة على الرد على فرعيات المتكلم. ولا شك أن هذه طريقة صحيحة، فالعلماء كانوا في أوقات كثيرة يضعوا قواعد للعوام، لا تصلح للعالم وغير مقبولة، ولكن تعطى للعامي للتمييز، مثل قولهم.. عند الشافعي، وهو من أئمة هذا الفن، من أساتذة معالجة هذه المسائل وهو رجلٌ خبير عالم، ولديه الإحاطة بمذاهب المبتدعة، وقال: لو شئت لأنشأت في كل مسألة من مسائل الكلام كتابًا، ولكن لا أضيع عمري في هذا ولا أرضاه. علق الذهبي على هذه العبارة: وهذا النفس الزكي متواتر عن الشافعي..

٢٠

يقول: إذا سمعت الرجل يقول الاسم غير المسمى، والشيء غير المشيء، فاشهد بأنه زنديق. أعطاه شعار. ولكن هل الإمام الشافعي عليه رحمة الله، لو سئل باعتباره عالم من العلماء،: هل الاسم غير المسمى، يجيبك...، يقول لك: أن الاسم للدلالة على المسمى لا هو المسمى ولا هو غير المسمى. ولكن لماذا يقول هذا الكلام؟ يقوله باعتباره قاعدة. عن أناس طول عمرهم، ومدار حديث حول هذه المسائل،..

٢١

وهذا أنتج في داخل التاريخ الإسلامي أناس يقولون لا يجوز أن نتحدث بهذا البتة. وهذا خطأ. هذا شعار أعطي للعامي.. ومعلوم أن العلماء كانوا يتحدثون بهذه الأمور ويناظرون فيها، ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية، كان جبلا في مثل هذه المسائل، ويرد عليهم من خلال معقولاتهم.

٢٢

إذن، فالذي يحل المشاكل هو الرجوع إلى القواعد، والاختلاف نشأ كذلك بين المحدثين أنفسهم، فلو جاء محدث ليقول هذا حديثي صحيح والآخر يقول هذا حديث صحيح، فما الذي يحل المشكلة؟ هو إرجاع المسائل للقواعد الأصولية، حتى يبين له أن هذا خاص وهذا عام.. وهل نحمل المطلق على المقيد أم نبقيه على إطلاقه؟

٢٦

صاحب الرأي لديه قواعد لرد الحديث الذي يأتي به المحدث.

٢٧

مسألة: هل يجوز لنا أن نفرق بين المحدث والفقيه؟

إن معرفة الرجل بالصحيح والضعيف ليست كافية لمعالجة هذا الصحيح لمعرفة الحكم الشرعي والتوفيق بينه وبين غيره، أو لمعرفته لإدراك مراتب اللفظ في الدلالة على أحكامه.فهل يمكن للرجل أن يكون محدثًا عالمًا بالحديث ومحيطًا لكثير من الأحاديث ومع ذلك ليس بفقيه؟ الجواب نعم، ونعم بوضوح. وقد شكى كبار الأئمة في عصورهم من زوامل أحاديث ولكنهم ليس لديهم من الفقه شيء. ويقول عليه الصلاة والسلام: رب حامل فقه إلى من هو أفقه منه.

٢٩

لو أردنا المراتب من أحوسع حفظًا للحديث؟ الإمام أحمد أم الإمام الشافعي؟ الإمام أحمد. والشافعي كان يعترف بهذا. يقول أنتم أصحاب الحديث، أنتم أئمته، أنتم رجاله، دلونا على

الصحيح ونحن نعالجه، نحن الأطباء، وأنتم الصيادلة، تعطونا المادة ونحن نعالجها! إذن هذا موجود، وقد شكى من عصره الإمام الخطيب البغدادي من وجود هؤلاء القوم، وشكى الذهبي، وشكى ابن الجوزي...

٣٠

نشأت المشكلة والخصومات بين المحدث والفقيه، وبين المحدث الفقيه وصاحب الرأي والقياس. وبدأت الشعارات تتقاذف بين الطرفين.. فأهل الحديث يتهمون أهل الرأي ووصلهم بهم الحال إلى اتهامهم بالزندقة، أن هؤلاء أهل رأي، أن هؤلاء لا يحترمون الحديث. وأهل الرأي يتهمون أهل الحديث أنهم لا عقل لهم. وتوجد صور واقعية تؤيدهم في هذا.

٣٥

عندما يأتي الإمام مالك يقول أن حديث أهل العراق كحديث أهل الكتاب لا نصدقه ولا نكذبه.. فنشأت الشعارات والمشاكل فكان لا بد من تسجيل القواعد التي يرجع لها.. من أهل سخر الله عز وجل الإمام الشافعي، وانتصر لمن؟ انتصر للحق، انتصر لأهل الحديث. لكنه أعطى بعدًا جديدًا للحديث، وهو البعد الذي كان ينقص أهل الحديث في مقابل أهل الرأي، وهو قضية حجته من جهة معناه على المخالف الذي يحتج به. ما هو المعنى الذي يحتج به المخالف؟ هو القياس، هو العقل، هو الدليل، هو تطوير العلة. هو فهمه، إدراكه، فهو قد أعطى الحديث هذا البعد، ووضع القواعد ليحل المشكلة. من هنا كان شكره من قبل علماء الحديث ومن قبل أهل العلم كان شكرًا عظيمًا. اعترفوا له بهذا الفضل.

٣٧

يقول الإمام أحمد كنا في خصومة مع أهل الرأي، حتى جاء الشافعي ووفق بيننا. طبعًا وفق بيننا هنا تحتاج وقفة حتى لا تظنوا أنه جاء ومزج بين الطريقتين. هذا غير صحيح.

٤٣

يقولون أن علم أصول الفقه كان موجودًا، وما كان للشافعي إلا دور التدوين له. هل هذا صحيح؟ يعني علم أصول الفقه، طريقة أخذ الحكم الشرعي من الدليل عند الصحابة واضحة، ولم تكن بنفس الوضوح عند جميع الصحابة.. لكن هل كانت موجودة؟ ليسهلوا الأمر، ولا ينسبوا الفضل للشافعي، بما يستحق، يأتوا ويقولوا: ما دوره؟ هي كانت موجودة.

٤٨

قد يوفق الجاهل لاقتناص الفكرة والمعنى، ولكن نفسه تتبلد بعد فترة من توليد المعاني الجديدة...

الملف الثاني

٢

الإمام الشافعي جاء في وقت توزع فيه الفقه إلى مدرستين. المدرسة الأولى هي مدرسة أهل المدينة، التي كانت تعتمد أكثر ما تعتمد على الآثار. وخاصة على الأحاديث، كون القرآن الكريم معتمد وثابت. والمدرسة الثانية هي مدرسة أهل الكوفة، مدرسة أهل الرأي كانت تتوسع في الأخذ بالقياس.

٤

لماذا يا كوفي تركت الأثر؟

جهزت هذه المدرسة للرد على هذا السؤال وقعدت قواعدا

الرأي أعم من القياس

١١

الإمام الشافعي نصر مدرسة الحديث

الصراع ما بين الرأي وما بين الأثر هو صراع كامن في نفس الإنسان. زهز صراع عكسي؛ كلما وسع دائرة الأثر قلل دائرة الرأي والعكس.

١٤

الإمام ابن قتيبة الدينوري وضع الإمام مالك في مدرسة الرأي فهل أصاب أم أخطأ؟

١٦

في مسألة من المسائل وهي عرض الإمام مالك الحديث على عمل أهل المدينة، قيد الأخذ بالحديث. على أن الأخذ بعمل أهل المدينة يدخل في الاتباع وليس في الأخذ بالرأي.

١٩

إن أفضل من كتب عن عمل أهل المدينة عند المالكية هو القاضي عياض، وبين أن المقصود بعمل أهل المدينة هو الأثر، وهذا من المباحث المهمة، وكذلك شيخ الإسلام ابن تيمية عندما تكلم عن فقه الإمام مالك، وما هو عمل أهل المدينة الذي يعتد به، وما هو عمل أهل المدينة الذي لا يعتد به. فهناك إذن رسالتان لفهمنا لعمل أهل المدينة عند المالكية.

٢٠

يقول الإمام أحمد: كنا في خصومة مع أهل العراق حتى جاء الشافعي ومزج بيننا..

٤٨

في مسألة التشيع، عانى الإمام أحمد ومعه يحيى، عانيا الكثير ليأخذا الحديث ويثبتا أن عليه بدعته ولنا حديثه.

كما رأيتم، المدرسة أو المعلم السني الواضح في قضية التعامل مع النصوص والتسليم لها، وتقليل دائرة الرأي قد اكتملت معالمه عند من؟عند الإمام أحمد. اكتملت يعني وسع، قال: هاتوا الآثار. دعونا.. وإذا رأيتم بعض الصحابة اختلفوا فلا تحدثوا لنا آراء جديدة، وهكذا.. توسعت دائرة الأخذ بالأثر، وضُيّقت دائرة الأخذ بالرأي.

٤٩

وعدنا البارحة أن نتكلم عن تطور أصول الفقه. رأينا هذا التطور. رأينا هذا الصراع الذي نشأ. كيف جاء الإمام الشافعي وضبطه وقيّد دائرة الرأي، وقال إنما القياس كالتيمم! يأخذه الرجل مضطرًا. وضبط مسألة الإجماع.. وتكلم عن درجة الاجتهاد أنها مرتبة ابتلانا الله عز وجل بها. وبيّن أن الاستحسان هو التشهي، أن يقول الرجل برأيه من غير دليل. كالذي يفعلونه الآن! أنتم ترون عامة من يتكلم الآن: يقول وهذا الرأي الذي أميل إليه!! كيف تميل إليه؟ يعني أنت رغبت به وجدته ملائمًا للواقع – كما يقول – ! وأطلق عبارته: من استحسن فقد شرّع. إنما الاستحسان هو التلذذ. يعني: يشعر أن هذا القول جميل وطيب فأخذه. يعني هو يرجع إلى نفسه، إلى عقله، إلى هواه، إلى قلبه. والمصلحة المرسلة: قال لهم لا يوجد مصلحة مرسلة. وهذه تكلم عنها الغزالي بعد ذلك ونصر مذهب الشافعي بعدم وجود مصالح مرسلة. فدعوى وجود مصالح أطلقها الشارع، وترك الناس يقولون بها، فهذه لا وجود لها. وقال أن الأدلة كتاب الله وهي سنة النبي صلى الله عليه وسلم، والإجماع الذي لا يصح الخلاف حوله، وهو إجماع الصحابة. وقال قولته: لا يوجد إجماع بغير دليل.

٥١

وبيّن مراتب الألفاظ في دلالتها على الأحكام. وكيف يغيب الحكم عن الفقيه مع وجوده بين يديه..

٥٤

وكتب الشافعي "جماع العلم"، لحل الإشكال حول حديث الآحاد. اختلاف الأحاديث. الأحاديث المتعارضة. وبلا شك أن الإمام أحمد استثمرها فبانت واضحة لديه في فقهه عليه رحمة

الله مع اطلاعه وعلمه بالحديث. لذلك كانوا يقولون: الصيت لأحمد، والفقه للشافعي. فكان الشافعي ظاهرة في عصره في هذه المسألة، ولو بقيت المسألة لبقي أهل الرأي ولطغى مذهبهم وانتصروا وقويت شوكتهم..

٥٥

ذهب إلى معقلهم، ذهب إلى العراق وجادل محمد الشيباني وناظره، ومحمد بن الحسن غيّر كثيرًا من فقهه لما سمع من هذا الفتى المطلبي.

٥٦

مسألة: لن نعرف تطور على أصول الفقه حتى نعرف مصادره. وكيف نشأ ومن ماذا نشأ. فإن تطوره من دخول أشياء جديدة أو باستثماره من داخل مصارده الأولى.

من أين أتى الشافعي بأصول الفقه؟ ما هي مصادره في كتابته لأصول الفقه؟

في الحقيقة، مصادر الإمام الشافعي لأصول الفقه ثلاثة مصادر:

المصدر الأول، اللسان العربي، يعني طبيعة الخطاب العربي. لماذا؟ هو افتتح كتابه الرسالة بتعريف البيان.

٥٧

والبيان الذي منه نستخرج حكم الله هو بيان عربي. والقرآن نزل بلسان العرب. ليس فقط بألفاظه ولكن جرى على قواعده. وعلى أسلوبه في الخطاب. إذن، القرآن عربي والسنة عربية. والصحابة عرب، وفهموا كلام الله، وكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم، لماذا؟ لأنه خاطبهم بأسلوبهم. وجرى على قواعدهم. في تعامله مع الألفاظ وتعامله مع قواعد الخطاب.

٥٨

كان مما قاله الشافعي: ما فسد الناس إلا بإعراضهم عن لغة العرب وأخذهم بلغة أرسطوطاليس. بعض الأئمة ضعف هذه اللفظة عن الإمام الشافعي. ولكني أنا أجزم بصحتها؛..

٥٩

سبب الفساد الحاصل هو ترك الناس القواعد العربية في التعامل مع الكتاب والسنة فأزالوا قواعد اللغة العربية، أسلوب اللغة العربية، ووضعوا في أذهانهم قواعد جديدة وصاروا يتعاملوا مع الكتاب والسنة من خلالها. وهذه مصيبة ما زالت تمارس إلى يومنا هذا. طامة ما زالت تعمل عملها إلى يومنا هذا.

١:٠٠

وهي أن الكتاب والسنة تدخل في مختبر، غير المختبر الذي نشأت من خلال أسلوبه ومن خلال قواعده.

ما هو التأويل؟ ما هو عمل المجتهد؟ ما هو مرادك من الأخذ بالكتاب والسنة؟ أن تعرف ماذا يريد الله. يعني: لدينا مقصد. أي كلام نشأ من مقصد، فتحول إلى كلام، فأنت أخذته وفسرته. فهذه مراتب أي فهم. أنا عندي مقصد، فأخرجته كلامًا، فأنت فهمته. قد ينشأ الخلل من كلامي في التعبير عن مقصدي. وهذا ممتنع في حق الله وحق رسوله. لأن الله عز وجل هو الحكيم، لأن الله عز وجل هو القادر، لأن الله عز وجل هو القدوس، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

١:٠١

وكذلك الرسول صلى الله عليه وسلم معصوم بالإجماع. معصوم في أداء الرسالة. عندما يبلغ شيئًا، فهو معصوم في أدائه عن الله.

إذن، الكلام هو معبر عن معنى المتكلم تعبيرًا تامًا واضحًا سليمًا، لا يأتيه خلل ألبتة. من أين يأتي الخلل إذن؟.. [انقطاع في الصوت]

١:٠٢

معروف أن لكل لغة ولكل خطاب قواعده، ولكل فن خطابه الخاص به، فقد رضي الله عز وجل وهذه السنة النبوية أن تنشأ على قواعد اللغة العربية. فإذا أردت أن تعرف مراد المتكلم، مراد المشرع، مراد الله، مراد النبي صلى الله عليه وسلم، وقد بيّن الشافعي أن تعبدنا لما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يأت استقلالًا من قوله، ولكن هو لأمر الله، فهو تعبد لأمر الله.

١:٠٤

قد يقول قائل: أنت قدمت اللسان العربي على فهم الصحابة، فنقول: الصحابة أنفسهم كيف فهموا الخطاب، وهم المشهود لهم أنهم فهموا الخطاب على مراد الله وصدق الله فهمهم ورضيه، كيف فهموه؟ على قواعد العرب. كيف نشأ الخلاف عند المتأخرين؟ عندما لم يتعاملوا مع الكتاب والسنة بما تعامل به الصحابة. وهي قواعد اللغة العربية.

١:٠٥

قواعد الإبانة هي قواعد اللغة العربية. وأي قواعد جديدة فهي باطلة. إذن القواعد لاستخراج الحكم الشرعي هي قواعد العربية. هذه هي أصول الفقه.

المصدر الثاني من مصادر أصول الفقه: الحكم الشرعي. تصورك للحكم الشرعي. وهذا تحدثنا عنه البارحة باختصار، فنعود ونقول كيف.

١:٠٦

الشافعي بالإضافة إلى الكتاب والسنة، كان بين يديه فقه، فتوى، لمن؟ للصحابة، لللتابعين، لتابعي التابعين. إذن تصوره للحكم الشرعي، مع تصوره للأدلة جعلته يعرف القواعد التي تعا مل بها الصحابة رضي الله عنهم لاستخراج الحكم الشرعي. وهي طريقة لا تصلح في غير هذا الباب. لا يمكن أن نخرج بفتاوى يقع فيها الخطأ والصواب لا ستخراج قواعد أصولية. نحن الآن نتحدث عن فهم الصحابة. عن مسائل الإجماع وكيف تعامل معها السلف، فنستطيع أن نخرج بماذا؟ بالقواعد. إذن هو، أخرجنا القواعد من الفروع [الأصول=الأحكام الجزئية].

١:٠٨

رد الشافعي على من قال أن في القرآن لغة غير العربية، لغة أعجمية، وكذبهم، وكان قاسيًا. حتى كاد أن يحكم بكفر وزندقة من يقول أن في القرآن غير العربية. وكأنه يتحدث عن مسألة خطيرة جدًا. الأمر الثاني إذا قرأنا الرسالة نجد أن الشافعي أكثر من النصوص النبوية والآيات القرآنية وعالجها، وبيّن كيف يستخرج الحكم الشرعي منها. وهذا لا يمكن أن ينشأ لديه حتى يكون قد عرف فتوى الأوائل من هذه النصوص. واضح أيها الإخوة.

المصدر الثالث: وهذا أمر معلوم لدينا، وهو طبيعة الخطاب: ممن صدر وإلى من صدر. هذا يحل إشكال كبير. حتى لو جاءت مسائل غير معروفة.. لأن الخطاب كما نعلم هو مطلق. أمر..

١:٠٩

عندما تأتي للكتاب والسنة، لتتحدث عن خطاب بين رب وبين عبده. فلا بد أن تحيطه بمعاني. هذا يُنشئ معنى في داخلك. كيف؟ هذا كان حاضرًا في نفس الإمام الشافعي الذي وضع هذه الضوابط، بأننا عبيد لله.. عندما يقول: علينا أن نسلم لأمر الله، من أين أتى بهذا؟ لأنه يعلم أنه عبد. هذه النقطة يا إخوة قد تبدو هينة. ولكنها عندما تقرأ الآن في هذا الوقت، قراءة الزنادقة للكتاب والسنة، لماذا تخرج معهم معاني باطلة؟ لأنهم لم يقرؤوه من أجل أن يتعبدوا. لم يقرأوه من أجل أن يستخرجوا مراد الله. إنما قرأوه من أجل مقاصد ومعاني أخرى.

١:١٠

لا شك أن هذه الأمور في كثير من المجالات متشابكة، يعني هو قرأه بغير نفسية العبد، فقطعًا سيستخدم أساليب باطلة لا ستخراج مراده الباطل من الكتاب والسنة ولكن لو أن إنسان دخل في داخل النص النبوي أو الآية القرآنية ليكون عبدًا يمتثل أمر الله. ألا يكون هو أقرب في إصابة المراد ممن يدخل ومعه شهوة؟! ممن يدخل ومعه هوى؟! فذلك يكون مصيبًا لمراد الله لأنه يكون في الوضع الصحيح للبحث عن الحقيقة، أو في قربه من الحقيقة التي يبحث عنها.

ما هو لسان أو منطق أرسطو؟

ابن حزم هو من أدخل علم الكلام في أصول الفقه

تدمير شيخ الإسلام ابن تيمية لمنطق أرسطو

الملف الثالث

علم الحديث وعلم أصول الفقه هما علما الحياة

٢٥

علم الحديث هو علم الحياة، أخذه العلماء، كما أخذ علم التثبت في القضاء فيما يخص القضاء، وعلم التثبت أخذ في العسكرية، وعلم التثبت أخذ في كل فنون الحياة، وكذلك علم التثبت أخذه علماء الحديث ومارسوه.

٢٦

كذلك علم أصول الفقه، كانت منتشرة عند العرب، العربي كان يعرف أصول الفقه، يعرف الكلام، لأنه عربي، الميزان الذي في داخله هو ميزان اللغة، واللغة لها سطوة على نفسه، من خلالها يتحرك، وهنا بعد مهم جدًا أيها الإخوة، وهو سلطة البيان..

يعني لأسباب تحتاج إلى دراسة عالية: لماذا سقطت قيمة الكلمة في حياتنا؟

٢٧

يعني ألا ترون احتقار واستهزاء الناس بالخطاب المفوه؟ حينما يأتي واحد مهرج يخطب باللغة العربية فيكون مدعاة للسخرية عند السامعين؟ عندما يتكلم: ثكلتك أمك. فيأخذونها فيضحكون عليها. أو يأتي واحد ويقول بيت شعر على طريقة الاستهزاء: مكر مفر.. فيستهزئ الناس. فكما ترون قد تدنت سلطة البيان! ألا يحاب الواحد منكم في هذا الوقت عند خصومته مع آخر، أو حتى في صداقته، فلو أرسل له أبيات من الشعر، فهل ستعمل نفس الأثر الذي كانت ستعمله عند العربي الأول؟ أم أنك تقول: لو فعلتها اليوم لاستهزئ بي.

٢٨

تصور لو أن رجلا هجا واحدًا الآن، في هذا الوقت، فهل تحدث نفس الأثر؟ إذن فقدت الأمة الإحساس بسلطة عظيمة وهي سلطة البيان. التي هي أول منة من الله عز وجل بها على الإنسان. وإذا جئنا إلى تفسيرات المناطقة للإنسان: فقال الإنسان حيوان ناطق. إذن هو تميز عن بقية المخلوقات التي فيها الحياة بأنه ينطق، وعملية النطق هي عملية معقدة، ليس هي فقط إجراء الهواء في داخل جوف الإنسان، فتخرج هذه الكلمات، هل البيان ما زالت له السلطة؟

٢٩

السلطة التي تترجم بعد ذلك عظيم الأمور؟ يعني تصوروا أن رجلًا يقم معركة كبيرة، فيرى أنه يكفيه بعد ذلك، معركة يبذل فيها ماله وربما يفقد فيها أحبابه، فيرى أنه يكفيه أن يسمع بيت شعر،

١:٤:٠٠

قول عبد الوهاب الشعراني إن خلاف الفقهاء بين محلل ومحرم مثلا، أن هذه الأقوال كلها صحيحة، ولكنها درجات بين أهل الورع وعوام الناس.

١:١٠:٠٠

أصول الفقه عند الأحناف تبرير لما يقوله الإمام، وإنما نشأت أصول لفض النزاع بين الفقهاء عامة، ولكنهم خصوها فجعلوها لفض النزاع بين الحنفية فحسب.

١:١١:٠٠

إذن، أصول الفقه هي ضابط قوة، ينبغي أن لا تمس، نستثمرها، نتعامل بها، نذهب بها بعيدًا، ولكن ينبغي أن تبقى متصلة بالقواعد التي قالها الأئمة، وقلنا: لا يمكن أن تثمر أصول الفقه إثمارًا حقيقيًا إلا بأن يوجد لدى المسلم الإحساس باللغة.

الملف الرابع

١١

الآن بقيت الصورة التي نريد أن نقدمها تاريخيا، أين كتب أهل الحديث، كتب أصول أهل الحديث؟

قلنا أن الإمام أحمد استثمر كتاب الرسالة للإمام الشافعي في توسيع دائرة الحديث، ولكن هنا نأتي إلى الشافعية – الذي كان ينبغي – والمالكية والحنابلة، على اعتبار في الحقيقة أن الحنابلة ليس عندهم كتب أصول، فأول كتاب أصول عند الحنابلة هو روضة الناظر، لابن قدامة وهو متأخر، (ت٦٢٠) للهجرة، فانظر، هذا أول كتاب أصول عند الحنابلة، في الحقيقة أن أصول أهل الحديث تنطبق على الشافعية وتنطبق على.. وروضة الناظر في الحقيقة هو اختصار لكتاب المستصفى للغزالي. يعني لم يكن له دور إلا أنه أخذ منه سيئاته دون أن يدري، لأن ابن قدامة ليس له اطلاع على كتب المنطق مثل الغزالي، لذلك فقد كانت تمر إليه كلام وأصول المناطقة ولا يدري عنها شيئًا، وجرت عليها [الحنابلة]. لذلك، فكل كتب الحنابلة، سوى ما سنذكر عن شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن قيم: جميع كتب الحنابلة جرت على مجرى المتكلمين. واضح؟ سارت على طريقة المتكلمين.

إن كان أول كتاب هذا = وكما قلنا، هو مختصر، بل إنه أضعف شأنًا من كتاب المستصفى. فكتاب المستصفى أفضل في ترتيب أدلته، وفي تصويب مسائله، وأقدر صاحبه على فهم كلام وعبارات المناطقة = فإذا كان هذا أول كتاب عند الحنابلة في مذهبهم وينسب إليهم، فما هي بقية الشئون الأخرى؟ لا شك أن هذا يجعلنا نقول، وليس هذا تعصبا، أن مذهب الحنابلة في الفروع هو فرع عن مذهب الشافعي، أتكلم عن الفروع، أما الأصول، فالشافعي صاحب مدرسة، يدخل فيها أهل الحديث، ومنهم من أراد أن يكون من أهل الحديث، فكان منهم الإمام أحمد، ليس معنى هذا أنه تلميذه اشتق منه، لا تفهموا هذه الصيغة، فإن الإمام أحمد له عقليته الخاصة، فهو إمام في علم الحديث وإمام في فهمه وإحاطته بمذاهب السلف، ولأقوال الصحابة، ولأقوال التابعين. ولكن أنا أقصد أن المدرسة حين كتبت، كتبت على يد الشافعي، وكان يدخل فيها إقرار أحمد لما كتبه الشافعي. الآن هذا الذي نقوله: الحنابلة لم يكن لهم كتابة واستثمار.

١٥

الشافعية أين هم؟ لماذا صار الشافعية هم أئمة أصول المتكلمين؟ وأين بدأ الانحراف؟

أنا ذكرت أن دخول المنطق إلى الفقه، لقد أشرت إلى أنه ربما، وهي قضية تحتاج إلى دراسة ومراجعة، أن أول من قام به هو ابن حزم، ولكن في الحقيقة أن ابن حزم هو واحد من هؤلاء، أدخل المنطق إلى أصول الفقه، لكن ابن حزم لم يكن له التأثير لبعده النظري على هذه المدرسة الكبيرة الموجودة في الشرق. وأين كتبه؟ لم يكن له ذيوع وانتشار. بل إن تأثره بالمنطق إنما جاءه من المشرق، ونظرت فوجدت أن أبا الوليد الباجي وهو المناظر الخصم القوي اللدود لابن حزم كتب كتبه على طريقة المناطقة؛ إحكام الوصول لأحكام الأصول لأبي الوليد الباجي يجري مجرى المناطقة في كل شيء، وكتابه المنهاج كتبه على طريقة المناطقة.

يعني من خلال تجميع لمن كتب في أصول الفقه على طريقة المتكلمين أذكر لكم أول من كتب فيها وكيف دمجت وسنبين بعد ذلك من أدخل وتكلم في أصول الفقه على طريقة المتكلمين، وسنتكلم عن بعض الكتب السلفية، كتب الحديث في الأصول، سنتكلم عن بعض الكتب الرئعة التي بقيت على المنهج الذي كتبه الشافعي عليه رحمة الله.

وجدت أيها الإخوة أن أول من كتب، ووجدت بعد ذلك أن أغلبهم قد أخذوا منه،

٥٤

يقول أن أهل الحديث في ذلك الوقت لما تطاول أهل الرأي في موضوع القياس، فصار أهل الحديث يشتمونهم فقلت عنايتهم. كما يحصل الآن بالنسبة لقضية المصلحة، تستطيع أن تتصور الحالة التي في عصرهم قياسًا على الحالة التي في عصرنا الآن؛ إخواننا من كثرة استخدام أهل البدع لكلمة المصلحة صارت كلمة المصلحة عندهم مذمومة وتعادل الشرك والكفر. يقول أبو عمر ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله، ذكر أنه لا يكون المرء فقيهًا حتى يعرف الخلاف، إذن من الفقه أن تعرف الخلاف، فهذا الذي يجمع الحديث ويحتقر فقه الأئمة، هذا كيف سيعلم الخلاف؟ وهنا قصة تحتاج إلى بيان، أن طالب العلم المبتدئ يجب أن لا تعرض له أو يعلم التقريرات النهائية التي تصل إليها أنت لأنها تجهله وتضعف لديه الهمة في قراءة العلوم. يعني عندما يقال للطالب: يقول الإمام أحمد: إياك وقول سفيان، إياك وقول ابن المبارك، إياك وقول ابن المسيب، وإياك وقول الشافعي، وإياك وقول مالك، وخذ من حيث أخذوا. الإمام أحمد عليه رحمة الله هل يمكن أن يكون فقيهًا دون أن يعرف أقوال هؤلاء الأئمة. فمنعه الفتوى بأقوال الأئمة لا يعني أن لا يعلم هذه، ولكن أن يفتي بها هنا الممتنع، فلا يجوز للمفتي أن يكون مقلدًا..

٥٨

الخطيب وجد أن أهل الحديث في زمانه ماذا؟ جهلة في الفقه. قال هذا. ثانيًا، وجدهم من أكثر الناس إعراضًا عن فقه الأئمة، لا يحفظون منه شيء، لا يدرون عنه شيء.

ليس عجيبًا أن تجد محدثًا عظيمًا مثل الذهبي ، يقول للمبتدئ في الفقه، عليه أن يقرأ في بداية الأمر = هذا لمن يقرأ ولكن لو وجد لديه الشيخ يأخذ من الشيخ ولا يتقيد بكتاب = أن يقرأ تعليقة في الفقه. ولكن تعاليق الفقه جميعها تعاليق مذهبية. ثم كذا وكذا وكذا مراتب، ثم إذا قرأ المحلى والمغني لابن قدامة والسنن الكبرى للبيهقي، فإنه إن كان صاحب عقل ونظر وذا ذهن ثاقب، نفعه هذا العلم..

إذن شكى من جهل أهل الحديث في زمانه بالفقه وبالقياس وبأقوال الأئمة، هكذا وصف حالهم. ولما جاء لأهل الرأي ماذا قال؟ لا زالت أمراضهم هي هي: من احتقار الحديث، ودعوى التعارض و.. إلخ. إذن هي شكوى لإعادة اللحمة، وهي نصيحة لمن؟ انتبهوا. وكذلك الشافعي من قبل، كتابه حقيقة كان لأهل الحديث، وكأن أهل الرأي خصوم، لا يألفون لهم. هذا هو الواقع، أما الكلام العاطفي في مدح أهل الرأي لا ينفع طالب العلم. ليس معنى هذا أنهم ليسوا فقهاء، ولكن هذا هو الواقع، ومع ذلك، فإن الخطيب البغدادي رسالته لمن؟ لأهل الحديث، فهم المقصودين، لأن الخير فيهم أعظم.

لما ألف ابن قتيبة كتابه وهو لا يبحث في الفقه، ولكن في المسائل المتعارضة، وهو تأويل مختلف الحديث، كتبه لأهل الحديث، وهم المعنيون. هم أكثر الناس صوابًا، وأقلهم خطأً ولكن هذه الأخطاء إذا غلبت وصارت هي المنهج صار دمار. كما ترون في هذا الزمان هذه الأخطار صارت هي المنهج، يتلقاها السلفي أو الذي ينتمي لأهل الحديث، وهو من الجهل بمكان وتعطى له كلمات الأئمة في غير بابها وتقطع عليه طرق التعلم كما قلنا في كلمة الإمام أحمد رحمه الله.

١:١:٠٠

إذن جاء كتاب الخطيب. والكتاب الثاني في نفس الفترة: جامع بيان العلم وفضله، وكتبه لهذا المرض الذي استشرى، وكتبه في مراتب الأدلة، وكتب فيه أقسام الأحكام: واجب، مستحب،.. وكتب كذلك في طرق التعارض، ونقل كثيرًا عن الإمام الشافعي. كان معظمًا للشافعي، حتى كتب كتابًا في مسألة الاحتجاج بالشافعي، وبيّن خطأ من ضعّف الإمام الشافعي في علم الحديث. وكان كتابه هذا استثمارًا أوسع للرسالة.

١:٣:٠٠

فهذه الكتب هي في أصول الفقه، ولكن على طريقة المحدّثين. هل ثمة كتب أخرى؟ حقيقة ليست بين يدينا [إجابة] هل يوجد أو لا. قد كتب ابن تيمية ولكن لم يكتب أصولًا. طبعًا هو بفقهه وفتاواه، وطريقة ممارسته أعاد للأصول الحديثية نظرتها، ولكن لم يكتب. وتعليقاته على المسودة التي كتبها جدّه، وعلق عليها والده، لكن لو نظرنا إليها فهي لا تعد شيئًا.

١:٤:٠٠

ابن القيم كتب في أصول الفقه كتابه: إعلام الموقعين، وفي المسائل الخطيرة في أصول الفقه. وكان كذلك في المغرب الشاطبي، وهو معاصر لا بن القيم، وكتابه الموافقات يعد إحياءً مع اختلاط شيء يسير بطريقة المتكلمين، ولكنه في الحقيقة إحياءٌ عظيم لطريقة السلف.

١:٦:٠٠

ماذا يوجد في إعلام الموقعين من مسائل؟ ابتدأه ابن القيم بشرح رسالة عمر رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعري. والكتاب – دعك من المجلدين الأخيرين، فإن فيهما فتاوى فقط للرسول صلى الله عليه وسلم، وقد أخذتا من الكتاب وطبعتا. أين أهمية هذا الكتاب؟ هل يبدأ به المرء؟ هل هو كتاب أصولي؟ بمعنى أنه على طريقة الفقيه والمتفقه، على طريقة كتاب الرسالة، أما أنه بحث مسائل مشكلة ومهمة على طريقة المحدّثين؟ الكتاب عرض للمسائل التالية: أخذ رسائل البن تيمية بحروفها، كما هي، ووضعها في كتابه، وهي دعوى مخالفة النص للقياس، وهي رسالة موجودة في مجموع الفتاوى لا بن تيمية. فهذه مسألة الفضل فيها لابن تيمية. والمشكلة لا تزال إلى وقتنا هذا: زعم خصوم أهل الحديث أن النصوص لا تحقق المصلحة، وأن النصوص متعارضة، دعوى: دعوى التعارض بين الكتاب والسنة، بين عام الكتاب وخاص السنة، بين خاص السنة وخاص السنة، بين عام السنة وعام السنة. فتكلم ابن القيم في كتابه في هذه المسألة وأفاض. والكتاب يفتح لطالب العلم الذي يدرس الكتاب؛ لا يقرأه فحسب، فثمة فرق بين القراءة والدراسة. وهذا مارسته بنفسي، فلما قرأته مرة وأخرى، لم أكتشف فيه ما اكتشفته عندما درّسته ودرسته. وهي مسألة أراها مجهولة عند أهل الحديث، ووجدت موافقة لما يقوله الخطيب في الفقيه والمتفقه. وهي: هل احتقار القياس، هل احتقار المصلحة، هل احتقار الرأي، معنى ذلك أنها لا قيمة لها في النص؟

١:٩:٠٠

الدعوى العامة التي يمارسها الداعي إلى تقديم الحديث على ما سواه، يوصلك إلى هذه النتيجة: من استحسن فقد شرع، النص يحقق المصلحة، والمصلحة خارض النص لا قيمة لها. وهكذا من هذه العبارات، لكن بعد أن تقرأ المحاولات العظيمة التي فام بها ابن القيم في كتابه، في رد دعوى مخالفة النص للقياس، نجده يتحدث عن مراتب الأدلة في أبواب جديدة، وهي دخول المصلحة.

هذه لما قرأتها منعتني من الانزلاق نحو الظاهرية المقيتة، التي يمارسها كثير من المفتين ضد أهل الرأي والمصلحة"". انظر شدة ابن القيم في رد دعوى مخالفة النص للقياس. ومع ذلك إطلاقة لعبارات خطيرة لا نقبلها: حيثما كان المصلحة كان حكم الله، بهذا الإطلاق، وقوله: تتغير الفتوى بتغير الأزمان. فكما ترون؛ كيف يقول باحترام النص بهذا التقدير ثم يتكلم عن هذا هذه

العبارات حقيقة لما طبقها على الفتاوى لا نجد فيها هذا العموم.. إذن فعلينا أن نتعامل مع نصوص الأئمة في ظرفها التاريخي، بخلاف تعاملنا مع الكتاب والسنة، فهذه بخلاف كلام الأئمة من أي وجه جئتها أصبت الحق.

١:١٤:٠٠

وضرب أمثلة عظيمة في هذا الباب، وإن كانت متأخرة في البحث، في باب الحيل، منها: لماذا غيّر عمر رضي الله عنه الفتوى أن الطلاق بالثلاث في مجلس واحد جعلها من واحد إلى ثلاث، ولماذا يجب أن نرجع إلى الفتوى الأولى. وقارن بين الزمانين، فإن كنت ذا عقل ستسلم لما قاله عمر، ثم لما قاله ابن تيمية في زمانه. للدوافع التي دخلت وأوجبت عليك تغيير الفتوى.

ثم لما جاء إلى تقسيم الأحكام: المحرم لذاته والمحرم لغيره، أتى بنظرة جديدة لمراتب الأحكام، وهذه يجهلها الظاهرية، ولا يعترفون بها، ويعتبرون أن هذا النص مساوٍ لهذا النص. وأن هذا الحكم مساوٍ لهذا الحكم. فكيف إذا ظهر التعارض؛ ماذا تصنع؟ يجب أن تعرف مراتب الأحكام، ومراتب الأدلة ليتم التوازن، والتقديم، والتأخير. فهذه ميزة ثانية لإعلام الموقعين.

١:١٥:٠٠

الميزة الثالثة العظيمة، والعظيمة فوق قولنا عظيمة، وهي المحاولة العظيمة للتوفيق بين نفاة القياس وبين المؤيّدين له. اعترف أولًا ابن القيم أن هذه المسألة (..) فيها كبار العلماء، وعندما تقرأ مقدمة هذا المبحث، وكأنه يعتذر عن أن يوصلك إلى النتيجة؛ فيقول: هذه مسألة خطيرة جدًا، ولكن حين تتابع مع ابن القيم في أدلة هؤلاء وأدلة هؤلاء، ومناقشة كل فريق، يوصلك إلى النتيجة وحل لمعضلة. وينبغي لطالب العلم قبل أن يتكلم أن يقرأ هذا المبحث.

١:١٧:٠٠

هنا مسألة: هل هو كتاب أصولي، كما تفتح كتاب الفقيه والمتفقه، يعني هل هو كتاب يبحث في كل مسائل الأصول، أم أنه كتاب يبحث في مسائل أصولية. كما رأيتم، هو كتاب يبحث في مسائل أصولية مشكلة في عصره. ويتحدث فيها بتوسع. فهذا ربما يكون في قراءة الأصول في المرحلة الثالثة، فإذا كان الطالب مجد يصلح أن يكون في المرحلة الثانية.

انتهى

الملف الخامس

البداية

أريد أن أنبه على نقطة مهمة، أن أصول الفقه، في السياق الذي تكلمنا فيه في الدروس الفائتة، هو تقسيم لمدارس وليس لمذاهب، بمعنى نحن لا نقول أن هناك أصول الحنابلة، ولا نقول أصول المالكية، ولا نقول أصول الشافعية،.. إنما هي مدرسة أصولية. مثل مدرسة أهل الحديث، يدخل فيها كل من يؤمن بها، مهما كان مذهبه، أما مدرسة أهل الرأي أو مدرسة الحنفية، فهي مدرسة، قد يتأثر بها بعض أصحاب المذاهب الأخرى، من فقهاء وأصوليين. إذن، السؤال: أين أصول الحنابلة. أين أصول المالكية. هذا سؤال خطأ في هذا الاتجاه. لقد رأينا أن مدرسة الحديث كتب كتابها الأول في هذا الباب الإمام الشافعي، ورأينا أن من قام بكتب لها لا يعد لا شافعي ولا حنبلي. وإن انتسب أولا إلى الحنابلة ثم صار شافعيًا، هو الخطيب البغدادي، ورأينا كذلك ابن تيمية وابن القيم، والإمام ابن عبد البر...

هذا أراجعه وقد سئلت: فأين الحنابلة؟ ماذا كتبوا؟ فوجدت نفسي أجيب أن الحنابلة كتبوا كذا. وهذا غير صحيح. فنحن اعتبرنا أن الإمام أحمد عليه رحمة الله، هو في نفس اتجاه مدرسة الحديث، ولما ذكرنا كتاب روضة الناظر، لا يعد حنبليًا في هذا الباب، فنحن لا نؤرخ لكتب الحنابلة في أصول الفقه، فهو لم يكتب أصول الفقه على طريقة أهل الحديث، على نفس النزعة التي كتب عليها الإمام الشافعي..

٥

ومن هنا، لما راجعت الكلام؛ المالكية: ابن عبد البر ينسب للمالكية، وكتب كتابًا في أصول الفقه على طريقة أهل الحديث. الشاطبي. مالكي وكتب كتابًا في أصول الفقه على طريقة أهل الحديث. لكن رأينا أنه لما تكلمنا عن مدرسة المتكلمين، وذكرنا الباقلاني، وقلنا أنه من عمد من كتب في مدرسة المتكلمين وأخذ من بعده عنه. والباقلاني مالكي وليس شافعيًا. ولكنه في كتابته على مدرسة المتكلمين التي صارت تنسب للشافعي، وهي كما رأينا في الدرس الفائت؛ نسبة غير صحيحة.

٦

ذكرنا أن التأليف بدأ في القرن الرابع، فهل يوجد كتب كتبت في القرن الثالث الهجري بعد وفاة الإمام الشافعي؟

وجدت كتابًا واحدًا يحمل معنى الأصول، وهو لابن داود الظاهري. الذي هو أبو بكر محمد، والمتوفى سنة ٢٩٧ للهجرة. وكتابه "الوصول إلى معرفة الأصول" ، فلا بد أنه يوجد.

١٥

أما أن يقع في روع طالب العلم الإعراض عن هذه الكتب وعدم قراءتها فسيفوته خير ليس بقليل، سيفوته خير عظيم، ولن نستطيع أن نفهم مباحث أصول الفقه التي تطورت مع الزمن، والحقائق الموجودة فيها، إلا بعد قراءة هذه الكتب، يعني لو أراد طالب العلم الآن، المبتدئ، أن يقرأ أصول الفقه من خلال كتاب الرسالة للشافعي، لن يخرج بالعقلية التي نريدها للأصولي، لأن أصول الفقه دخلت فيه بعد ذلك مباحث جديدة وعظيمة لا توجد داخل الرسالة، و[كتاب] الفقيه والمتفقه ليس شاملًا لكل مباحث أصول الفقه. ثمة مسائل كثيرة في أصول الفقه يصيب أصحابها ويخطئون ولكنها من أصول الفقه، وليست موجودة إلا في الكتب التي كتبت بهذه الطريقة، طريقة المتأخرين، طريقة المتكلمين، فهذا الكلام عن المدارس يجعلنا نعرض.

١٦

أنا لا أنصح أن يبدأ بكتاب الأحناف للمبتدئ في هذا الباب، والبحث فيها أعتبره من المرتبة الثالثة والرابعة في دراسة أصول الفقه. ولكن أن يعرض المبتدئ عن مباحث كتبت على طريقة المتكلمين فهذا ضعف فيه. هناك مباحث عظيمة جدا لا توجد إلا في الكتب التي ألفت بحسب سياقها التاريخي وتأثرها البيئي بهذه الطريقة، وهي مسائل أصولية. واضحة هذه المسألة.

وكانت هناك للجمع ما بين التأثر بأهل الكلام والمنطق، ومحاولة الاستدلال بالكتاب والسنة على المسائل. مثلًا كتاب ابن النجار الموجود عندنا هنا،

٢٠

فكرة جديدة

٢٣

المرتبة الأولى في دراسة أصول الفقه، دراسة المصطلحات

آخره

داود بن علي الظاهري (٢٠٠ –> ؟) أول من كتب في القياس، وكان ذا عقل. يقول عنه العلماء: كان علمه أكثر من عقله.

يقول أبو الوليد الفرضي عن ابن حزم: علمه كالبحر ولم يكن لديه سياسة في العلم.

الشافعي (١٥٠ –> ٢٠٥) ألف كتابًا في إبطال الاستحسان ردًا على الأحناف. قرأ داود هذا الكتاب فوجده يصلح في إبطال القياس، ولكن هل نفى كل القياس كما هو مذهب ابن حزم؟ ابن حزم ينفي العلة. ويقول لم تجيء لتحقيق المصلحة أساسًا، وإنما لتحقيق العبودية المطلقة.

ولكن داود يقول بالقياس الجلي، وهو القول بالعلة المنصوص عليها. أنه لو كانت العلة منصوص عليها في الكتاب والسنة فيجوز اضطرادها.

إن نفي ابن حزم للعلة سيفتح له جانب الاستصحاب، ويتوسع فيه. وكذلك سينشئ لديه الهمة للبحث عن النصوص النبوية لسد النقص في الأقضية، وخاصة الزيادات.

الملف السادس

١

كتاب الشاطبي أول من أشار إليه في الوقت المعاصر هو الشيخ محمد عبده. وكانت تطرقه إليه للتوفيق والاهتمام بما يسمى روح الشريعة. وأنها هي القضية الكلية التي ينبغي على الجزئيات أن لا تعارضها، فإذا عارضتها قدّم الشيء العام. الأشبه بالمتواتر أمام الآحاد. يعني روح الشريعة مقاصد الشريعة التي جاءت الشريعة لتحقيقها أهم من أي فرعية فقهية. إذا تعارض هذا مع هذا فهو كتعارض الآحاد مع المتواتر. يعني أن هذا النص الجزئي الموجود في الكتاب أو السنة ينبغي حين الإفتاء به أن لا يعارض كلية من كليات الشريعة.

٢

وهذه هي التي قيل عنها مقاصد الشريعة، هي الشيء الكلي، وينبغي أن لا يأتي فرعٌ من الفروع فيبطل هذا الكلي. مفهوم؟ واضح؟ من أجل هذا. نوّه (محمد عبده) بالاهتمام بهذا الكتاب. وقلت في الدرس الفائت أن اهتمام (محمد عبده) بهذا الكتاب دفع أحد تلاميذه: (محمد عبد الله درّاز)، وهو أحد مشايخ الأزهر، للبحث عن نسخ لهذا الكتاب وتحقيقه. ولكن التنويه الأول قام به (محمد عبده)..

٤:٣٣

قلنا ما هو سبب إخراج هذا الكتاب. هو محاولة لفتح أبواب الاجتهاد بعيدًا عن النصوص بما يوافق لما يسمى روح الشريعة. وسنرى أن هذا ليس مرادًا للإمام شاطبي عليه رحمة الله.

٥:٣٥

عبد الله دراز ولد سنة (١٢٩١)، توفي (١٣٥١)

٨:٥٠

الشيخ دراز عرّف بكتاب الموافقات وذكر هذه النقطة وهي معارضة الجزئي للكلي. وأهمية الكلي. والتي فتحت بعد ذلك هذه الأبواب فقهًا جديدًا في هذا العصر لا يهتم بالسنة ولا يقيم لها شأنًا.

١٢:٤٤

الأصوليّون، المتأخرون منذ عصر البيضاوي، ومن تبعه من المتكلمين، رأينا أنهم لا يأخذون أصول الفقه كعلم يستعينون به على إدراك الحكم الشرعي. إنما صار على أصول الفقه علمًا مستقلًا. يعني يفهم مباحثه ويفهم قواعده ويفهم قضاياه ومسائله وحدوده. من أجله هو. ولا يستعين به على فهم الكتاب والسنة، ولذلك – وهذه للأسف مما نراها – أغلب الأصوليين بعد القرن الرابع الهجري ليس عندهم اهتمام بالسنة! ونحن ذكرنا لكم المتكلمين. ذكرنا لكم الأصوليين من المتكلمين. وأغلبهم كان عندهم العجز الكبير في قضية السنة. إذن هم أخذوه كعلم ماذا؟ كعلم لذاته. يأخذونه من أجل أن يصبح شيئًا بذاته. هل هو آلة لغيره؟ هذا غير موجود.

١٤،١٣

الآن الغزالي، مشهور عنه أنه كان يقول: بضاعتي في الحديث مجزاة. يعني قليلة. وهذا يظهر في كتابه الإحياء. أنه لا يميز بين الصحيح والضعيف، والموضوع. وهكذا بقية من تكلم. فأي شيء عند المعتزلي من السنة في كتاب المعتمد؟ إذن هي صارت مباحث من أجل تقريرات عقدية أكثر منها مباحث من أجل أن تكون آلة لإعانة المرء الدارس في استنباط الحكم الشرعي من الكتاب والسنة. هذا خطأ موجود. يُمارس.

٢٨:٣٧

يقول: (بل بمعنى أنه بألفاظه، معانيه وأساليبه عربي، بحيث إذا حقق هذا التحقيق سلك به في الاستنباط منه والاستدلال به مسلك كلام العرب في تقرير معانيها. ومنازعها في أنواع مخاطباتها خاصة) إذن هو يريد أن يقرر أن هذا القرآن أسلوب عربي، والسنة أسلوبها عربي فيجب أن تتعامل معه بقانون هذه اللغة. بالقانون الذي كان العرب يتعاملون به..

(فإن كثيرًا من الناس يأخذون أدلة القرآن بحسب ما يعطيه العقل فيها) هو لو وسع قضية.. أو لم ينطقها.. لأن قضية العقل.. لماذا يوضع دائمًا المخالف للغة العرب هو العقل؟ لماذا يوضع دائمًا أن المخالف للنص هو العقل. لماذا؟ هل هذا صحيح؟ لماذا يوضع دائمًا: العقل والنقل؟ وفي الحقيقة إن الإمام ابن تيمية ومعه الشاطبي – على التحقيق – وخاصة ابن تيمية عليه رحمة الله كان ضد هذه الثنائية. يقول: كل ما ثبت شرعيًا، إذا ثبت بالعقل. انتهى. هو صار حكمًا شرعيًا. لا يمكنك أن تقول هذا حكم عقلي! هذا صار حكمًا شرعيًا. ما معنى أن نسمي هذا كتاب. وهذا ورق؟ هذا حكم شرعي. لماذا؟ لأن هذا اللفظ موجود له تعامل من داخل الحكم الشرعي. بمعنى: عندما نقول: الخمر مسكرة. هذا حكم عقلي. صحيح؟ يعني أدركناه عن طريق ماذا؟ ليس عن طريق النص. بل عن طريق أحد أساليب الاستنباط العقلية. من خلال التجربة. من خلال النظر. من خلال التعليل. (من خلال الاستقراء، من خلال التواتر..) فأدركنا بأنه مسكر. أما وقد استقر حكمه فعلى هذا أصبح حكمًا شرعيًا في تركيب الحكم الشرعي. لما علمنا أن حكمه التحريم، إذن المقدمة هي مقدمة شرعية . يعني كأن ابن تيمية يريد أن يقول أن هذا الفصام غير موجود.

٣١

ما ثبت بالعقل هو حكم شرعي. وما ثبت بالشرع هو حكم عقلي.. هذا يدخلنا في قضية: ما هو العقلي؟ الآن الشاطبي، لماذا أردنا أن نناقشه.. يقول: (فإن كثيرًا من الناس يأخذون أدلة القرآن بحسب ما يعطيه العقل فيها)، الآن أي عقل تتكلم عنه؟ لماذا لا نقول العقل العربي؟ فإنه حينئذٍ يكون كلامًا لا قيمة له. قصده أن يقول.. يريد أن يتعامل مع القرآن الكريم بحسب ما تعطيه (غير) قواعد اللغة العربية. يعني إن أردت أن تتعامل مع القرآن بقواعد اللغة العربية كيف؟ كيف تتعامل؟ تتكلم مع قواعد أخرى. فلماذا جعلت العقل هنا هو الشيء المقابل للغة العربية؟ لماذا؟ فهمتم هذه النقطة؟ لماذا لا يكون العربي في تقريراته وقواعده هو عقله؟

٣٣:٢٥

نأخذ مسألة يذكرها الشاطبي في الموافقات وهي قضية التفسير العلمي للقرآن. طبعًا هو يقول ويقرر أن من قواعد الأصول؛ أن هذا الدين نزل على أمة أمية، فكل علوم تنتج منه على غير قواعد العربي الأمي فليست مرادة في القرآن. يريد في النهاية أن ينفي التفسير [العلمي] مثل الموجود الآن، وكأنه موجود في زمانه، ولكن لا يوجد آثار له.. النقل فيه قليل جدًا.. فهل استخراج المعاني الكونية التي تستخرج من خلال.. مثلًا إدراك البحاثة قضية تكون الجنين على أرض الواقع وتخلقه من نطفة إلى علقة إلى مضغة وهكذا.. ثم رؤية ذلك في القرآن، فهل هذا يعد تفسيرًا له؟ هنا كيف فسر القرآن. فسره لا باللغة ولكن بالعقل وبالواقع.. ولكن في الحقيقة، هل اللغة البيانية الموجودة في القرآن التي رآها في القرآن موافقة للواقع. هل هي بلفظها تدل على هذه المعاني؟ في إحدى معانيها؟ موجودة. مثلًا، قوله تعالى {بلى قادرين على أن نسوي بنانه}، لما ترجع إلى كلام الأئمة الأوائل، قالوا: بلى قادرين على أن نقلبأصابعه مخلب صقرٍ أو مخلب نسر.. اللغة هكذا تنطق. لكن لما جاء الآن وجدوا أن هذا البنان فيه خاصية.. هذا الذكر الخاص للبنان يقضي وجود شيء خاص في أصلاالخلقة، وهي البنان. فهكذا فسّرت الآن. كيف اكتشفنا هذا المعنى في القرآن؟ عن طريق الواقع. وهل هذا ينفيه القرآن؟ {ولما يأتهم تأويله}

يعني هناك أمور كثيرة في القرآن لم يأت تأويلها. كانوا يفسرونها على مقتضى اللغة: بلى قادرين على أن نخلق بنانه ونصنعه كما نشاء.

٣٧

الطريقة موجودة عند السلف تفسير الشيء بلوازمه. تفسير الشيء ببعض صوره. والمقصود هنا التنبيه على قدرة الله في هذه القضية. فلما يأتيهم تأويله علمنا من التأويل أن البنان فيه اختصاص للخلق يختلف عن بقية الأجزاء في البني آدم. فهذه فيها ميزة أنها لا تشترك..

الآن، نحن فسرنا القرآن بماذا؟ القديم فسرها بالمعنى ولكن هذا البعد لها بعد ذلك لم تذكره الآية. ذكره ابن عباس بما يوافق عصره، وتذكر الآن بما يوافق العصر. مع بقاء التفسير البياني هو الأصل. ولا يجوز لأحد أن يفسر القرآن بأي طريقة إلا إذا وافقت اللغة. إذن، الضابط لذلك كله ما هو؟ احتمال وجود المعنى في داخل اللفظ العربي.

٣٨:٣٠

القصد (أن كثيرًا من الناس يأخذون أدلة القرآن بحسب ما يعطيه العقل فيها) يعني هو يقرر قواعد عقلية ثم يحمل هذه المعاني على القرآن. (لا بحسب ما يفهم من طريق الوضع وفي ذلك فساد كبير، وخروج عن مقصود الشارع. وهذه المسألة مبينة في كتاب المقاصد).

٥٣:٣٠

والمرء إذا تقيد بهذا الأدب، أن لا يضيع الأوقات فيما لا فائدة فيه أو في العلوم التي لا قيمة لها، جنى خيرًا عظيمًا. ولكن النفس عجيبة!!

١:١٨:٠٠

لماذا كانوا يمدحون كثرة الشيوخ؟ لأنها دلالة على كثرة حصول العلم. لماذا كانوا يذمون الكتب؟ لكثرة حصول الخطأ. العلم من صُحُفي مظنة الخطأ. لأن الصحف تخطئ، ما كانت منقوطة.. ثالثًا، كثرة الشيوخ تؤدي إلى كثرة الرواية مع تحقق العلم الواحد، فهذا كان يكثر له الطرق لتحصيل العلم. فكانت هذه الطرق في ذلك الوقت تعد علمًا.

فعندما كان يقال عن الإمام أحمد أنه يحفظ ألف ألف حديث. هل معنى هذا أنه يحفظ ألف ألف متن مستقل؟ وكل متن يختلف عن الآخر، أما أن المقصود به الحديث بمعنى السند؟ فكان هذا يعد عندهم من العلوم. وفي أزماننا هذه لا تعد علومًا. فليس هذا من باب العلم أن يأتي الرجل يحفظ مئة سند لمتن واحد. مسألة أن يعود للكتاب ويتأكد من السنة هذه مسألة أخرى. هذا لا يعد علمًا هذه الأيام..

١:٢٠:١٦

نعم ما زلنا نقول: أن التعلم عن طريق الشيخ هي الطريقة الأفضل. هذه مقررة.. لأنها أقل غلطًا من التعلم من كتاب. وثانيًا، موصلة للمراد بأسهل وأيسر. يعني هناك مسائل، لو أراد المرء أن يحققها لاحتاج إلى مجموعة من الكتب؛ أن يقرأها وينظر فيها فيحصل لديه التعارض وربما لا يخرج من هذا التعارض، فوجود الشيخ يحل هذا الإشكال. هذا واضح وهو موجود.

وجود الشيخ نحن لا نتكلم فيه أنه مرتبة قد تراجعت أهميتها من جهة الأفضلية، ولكن في الحقيقة من جهة تحصل العلم تراجعت عن كونها الأكثر.. أيها أفضل الشيخ أم الكتاب؟ الشيخ، وهذا متفق عليها. الآن، هل الأكثر هو الموجود لدى الشيخ أم الكتاب؟ الكتاب. هذا لو علمنا أن تحصيل الشيخ الآن من أصعب الأمور. فهل نبطل طلب العلم في حال عدم وجود الشيخ؟ أم أن على المرء أن يتعلم من الكتاب والسنة ولو كثر خطأه.. المقصد هو حصول العلم، فإذا حصل العلم لدى الرجل يقال عالم. ولا يُسأل كما قال الشاطبي في المقدمة التي سبقت: (من أين اكتسبه)، وقد حصل! ولكن أن تناقش المسألة ويناقش العلم بحيث يثبت أو لا يثبت بعد تحقق حصوله وكلام الرجل فيه – لكونه لم يحصل بطريقة ما – هذه طريقة يبطلها الشاطبي؛ لأنهم يحتجون بكلام الشاطبي أن العلم لا يحصل إلا عن طريق الشيخ. وأخذه من أهله المتحققين له.

نقول: قد حصل العلم. هل هذا يسمى علم أم لا؟ ومن الأحاديث التي تدل: الوجادة. أن يجد كتابًا. وهؤلاء المتأخرون الذين ملئوا الكتب، لو رأينا مصادرهم، أين روايتهم؟ الآن أصبحت الإجازة مهزلة! حقيقة!

١:٢٤:٠

الإسناد من الدين، في زمانهم غير الإسناد الذي تفعلونه الآن. هذه مهزلة. وهذا ليس كلامي ولكن كلام المتأخرين. وممن قال أنه أصبح مهزلة وألعوبة: الذهبي.

١:٢٧:٠

الآن، لو رجعتم إلى كتاب فتح الباري وإلى مصادره لوجدنا مئات الكتب وآلاف الكتب. هل صحيح أن هذه الكتب أخذها رواية أم أنه قرأها واستفاد منها؟

الملف السابع

١:١٣:٠٠

موضوع الزهد في العلم بين الإخوة

الملف الثامن

البداية

الحديث عن العلوم الإنسانية وإدخالها في أصل العلم.. وأنها ظنية، ما عدا ما أفاد اليقين وكان مفيدا فلنا أن نستفيد منه.....

٩:١٧

الحديث عن كتاب : "علماء الاجتماع وموقفهم من الإسلام"، لأحمد إبراهيم خضر.

ما يدرس اليوم في كليات علم الاجتماع: هل هو علم؟ أم هو نتاج حشاشين؟! لنتكلم بصراحة، هم أناس مرضى. وهو حال أغلب من يعد إمامًا في الغرب، تجده من المرضى. لأنهم كلهم تعتريهم حالات العصاب وحالات المرض..

هذا الكتاب، في البداية يقرر في البداية أن هذا ما يسمونه علم الاجتماع

٢٥

كتاب الإمام أحمد : "الرد على من زعم أن ظاهر القرآن يستغني به عن السنة". لماذا قال القائل هذا؟ ظنًا منه أن السنة تعارض القرآن.

٣٦

القطعي والظني